مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٨/١/٢١

مجرد بداية

فى مفـــــترق الطـــــرق

الموضـــوع لا يحتـــاج الى مقدمات ..

لقد كان كل شىء واضحا فى الايـــام الاخيره .. وفى نفس اليوم الذى ذهب فيه وفد مصر الى القـــدس كـــان للرئـــيس السادات تصريح شهير فى مجلة ((اكتـــوبر)) ادلى به لابد قبل يومين أو ثلاثة من ظهور المجلة قال فيـــه : اننى اعلن من الآن انه لا أمل عندى مطلقا فى ان يصـــدر عن اجتمـــاع اللجنـــة الســـياسية شىء مفيد . ولذلك سوف يكون لنا موقف آخر ..

وكانت بداية هذا ((الموقف الآخر)) هو اعلان رئيس مصر قراره بعودة الوفد المصرى من القـــدس الى القـــاهرة فورا ، ودعوته مجلس الشـــعب الى جلســـة طارئة يعقدها اليوم ، ســـتكون ـــ بلا شك محط اهتمام الملايين الكثيرة التى كانت معنا خطوة بخطوة ونحن نخوض ((معركة السلام)) مع اسرائيل

ولقد وصلنا الان على مايبدو الى مفترق الطـــرق ونستطيع فى موقعنا الجديد لكى نستكشف خطواتنا القادمة أن نحدد النقط التالية :

■ **اولا : اهم صفحة فى الصراع**

ان المبادرة المصرية للسلام سوف تبقى اهم صـــفحة فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى .. وكل تحرك قادم لابد وأن يبدأ من هذه الصفحة .

ان تاريخ هذا الصراع مليء بالحروب والدم والارامل واليتامى .. ولكن صفحة واحدة منه لم تحمل فى سطورها « أن يدا امتـــدت الى اسرائيل بالســـلام والامن » ..

ولاختفاء هذه اليد من سطور صفحات الصراع العربى الاسرائيلى باغت اسرائيل « اوهامها » لكل العالم .. واصـــبح الـ ١٠٠ مليون عربى فى حدقات العيون وحوشا يريدون ابتلاع ((الملايين الثلاثة المقهورين)) الذين تضمهم اسرائيل .

■ ثانيا : كل مصرى شريك

ان هذه المبادرة التى قام بها الرئيس السادات شاركته فيها كل الملايين من ابناء مصر الذين خرجوا غير مدفوعين من اتحاد اشتراكى لم يعد له وجود يذكر ، لكى يكونوا على امتداد طريقه من المطار الى الجيزة — بعد عودته من القدس — جداراً من الحب والتقدير ، أو ليحولوا له ميدان الجمهورية فى قصر عابدين الى ساحة من مئات الالاف من الرؤوس التى تهدر بالتاييد والمبايعة ..

كانت مصر كلها مع السادات فى « معركة السلام » التى خاضها صادقة فى تأييدها .. صادقة فى وقفتها .. أمينة مع أهدافها .

■ ثالثا : عظمتها فى الكنيست

ان الجماهير المصرية كانت اسبق الجماهير فى الاحساس بأن سر قوة المبادرة وعظمتها هو فى الزيارة التى قام بها أنور السادات الى القدس - ومواجهته شعب اسرائيل ووقوفه فى برلمانهم ليوجه اليهم خطابه ..

ولقد كان من الممكن أن يوجه السادات خطابه الى شعب اسرائيل من اى مكان آخر .. من مجلس الشعب المصرى ، و من فوق منبر الامم المتحدة ، أو من اى مكان آخر .. لكن اصداء الواسعة التى احدثها لم تكن لتحدث بمثل الصورة التى حدثت وهو يوجه هذا الخطاب من البرلمان الاسرائيلى نفسه .

وبصرف النظر عن اى طريق تتجه اليه المواقف القادمة ، فانه فى حساب الشعب الاسرائيلى وفى حساب العالم كله سوف يكون هناك تاريخ اسمه « الزيارة » .. ولن يستطيع بيجين ولا أى قائد اسرائيلى أن يمحو هذا التاريخ من رؤوس الملايين الذين شاهدوه يتحدث اليهم من السلام ..

رابعا : اين الحل الانفرادى ؟

ان هذه المبادرة التى قامت بها مصر لم تكن لتجنى ثمارها وحدها لو انتهت بالنجاح .. ولكنها كانت لشعب اسرائيل ، كما كانت لكل العرب .. للفلسطينيين المشتتين فى الخيام ، وللدول التى ما زالت اراضيها تحت الاحتلال ، وللاخرين الذين يساهمون فى المعركة .

ومع ذلك فان مصر ماكادت تضع قدمها على أول طريق تلك المبادرة حتى امتدت اليها الحناجر تطعنها بما اطلقت عليه « الحل الانفرادى » .

ويستطيع الذين اتهمونا « بالحل الانفرادى » ان يحكموا اليوم كيف كنا صادقين مع امانى الامة العربية ، وكيف كنا نعانى على طريق السلام الذى سرنا فيه وخناجرهم فى ظهورنا .

■ خامسا : لم نقدم ما لانسترده

ان مصر فى « معركة السلام » التى خاضتها لم تقدم شيئا لا تستطيع استرداده .

وعلى مر التاريخ سوف يبقى خطاب الرئيس السادات أمام الكنيست وثيقة من أهم الوثائق وخطابا من أعظم الخطب التى قيلت فى المحافل الدولية .

ان هذا الخطاب الذى قال بقبول اسرائيل بالعيش معها فى سلام دائم وعادل « بعد ان اصبحت حقيقة واقعة اعترف بها العالم ، وحملت القوتان العظميان مسئولية أمنها وحمايةوجودها» هو نفسه الذى حدد شروط اقامة هذا السلام الدائم والعادل فى عودة الارض المحتلة والحق الفلسطينى .

لم تكن المبادرة ـ كما ردد بعض اصحاب الخناجر ـ « شيكا على بياض » ولكنها كانت عرضا بالغ التوازن لتحقيق الامن والسلام لاسرائيل، والامن والسلام لجيرانها .. خذ واعط .. ولكن لان اسرائيل تصورت ان مصر وحدها فى الميدان تستطيع ان تأخذ منها دون ان تعطى ، فان مصر فى شجاعة الرجال وفى حسمهم قطعت الطريق الذى حاولت ان تستدرجها اليه اسرائيل .

■ سادسا : طريقها فى النور

ان هناك من كان يقول بان مصر لم تكن لتستطيع ان تقطع المفاوضات خوفا من ان تتهم بالفشل

والخوف احساس بشرى معروف .. لكنه ابدا لم يكن رفيق مصر فى طريقها .
لم يعرف الخوف طريق مصر وهى تقرر الحرب .
ولم يعرف الخوف طريق مصر وهى تعبر وتقاتل
ولم يعرف الخوف طريقها وهى تمديدها بالسلام .

او وهى جالسة على مائدة المفاوضات .

او وهى تتخذ قرارها بقطع هذه المفاوضات .
ذلك ان الخوف هو احساس الذين يتحركون فى الظلام او بغير الحق أما مصر فلقد كان اهم اسلحتها فى معركة السلام ان كل خطوة خطتها جرت فى النور وعلى هدى من الحق .

ولقد حدث فى ٢٠ ديسمبر الماضى ـ اى قبل شهر واحد ـ ان سمع العالم من راديو القاهرة لاول مرة عن وصول عزرا وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلى الى مصر .

وكانت هذه هى أول مرة يزور فيها وايزمان مصر . بل كان أول وزير اسرائيلى يصل الى الاراضى المصرية فى ضوء مبادرة السادات للسلام .

ومع ان اسرائيل تعودت أن تسبق بأعلان كل الحوادث ، الا ان راديو اسرائيل لم يشر الى زيارة وايزمان لمصر الا بعد ساعات من اذاعة خبرها من من راديو القاهرة .

وعندما عاد وايزمان الى اسرائيل فى اليوم التالى قال فى تصريح أدلى به الى صحيفة « معاريف » الاسرائيلية : « **ان المحادثات مع المصريين ليست سهلة . ولقد تم التخطيط لرحلتى الى مصر اثناء الزيارة التى قام بها السادات للقدس وخلال محادثاته مع رئيس الوزراء بيجين** » .

وقال بيجين بالحرف الواحد : لقد كان تصورى ان تبقى السرية التى احيطت بها رحلتى الى مصر والا يعلن احد عنها .. ولكننى فوجئت عندما صدر بيان من مكتب الرئيس انور السادات يفيدانني موجود في مصر . وكما نعلم فان للرئيس السادات مفاجآت ، وهذه واحدة من مفاجاته .

وهكذا تحت النور كانت خطوات مصر واضحة .

■ سابعا : المصارحة الامينة

ان الرئيس السادات فى قيادته « لمعركة السلام » خاضها من موقع المصارحة التامة والامينة لشعبه ، ولامته وللعالم الذى كان — ولا يزال — يتابع المعركة يوما بيوم .

●● فى الاسماعيلية رفض ان يزيف الاجتماع الذى عقده مع بيجين بتفسير الحقيقة وخرج يعلن على العالم « انني لم اتفق معه »

●● فى اسوان وفى مواجهة تصريح ادلى به الرئيس الامريكى كارتر تجاهل فيه حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى خرج الرئيس السادات ليعلن : ان كارتر يجعل مهمتى صعبة . واضطر الرئيس الامريكى كارتر ان يعدل برنامج زيارته المحسوب بالدقيقة والثانية وان يختطف ساعة وهو فى الطريق من الرياض الى باريس نزل فيها فورا اسوان واجتمع بالرئيس السادات ثم القى أمام العالم الذى كان يتابع الزيارة بالقمر الصناعى تصريحا متوازنا يشير فيه الى « ضرورة ان يتمكن الفلسطينيون من المشاركة فى تقرير مصير مستقبلهم » .

●● واخيرا .. وقبل أن يضع الوفد المصرى الذى ذهب الى القدس قدميه فى الطائرة ، كان الرئيس السادات صريحا مع شعبه وامته والراى العام كله عندما قال : انني لا انتظر املا . ثم كان قراره الحاسم بقطع المفاوضات وعودة الوفد الى مصر .

■ ثامنا : وجبة يومية لكل العالم

ان الرئيس السادات على امتداد الشهرين اللذين مضيا استطاع ان يحول « قضية العرب مع اسرائيل » الى وجبة رابعة من الوجبات اليومية التى يتناولها كل مواطن فى مصر وفى عواصم العالم العديدة وعلى رأسها الولايات المتحدة .

ففى خلال هذين الشهرين ادلى الرئيس باكثر من ١٠٠ حديث صحفى وتليفزيونى .. ولو ان الجامعة العربية ارادت ان تدخل كل بيت فى العالم عبر جهاز التليفزيون الموجود فى هذا البيت بنفس المقدرة التى دخل بها الرئيس السادات لما كفت كل ميزانيات دولها ..

وعن طريق هذه الاحاديث فان الرئيس السادات استطاع ان يطهر ملايين الادمغة من المغالطات التى روجتها اسرائيل واكتسبت بها فى عيون العالم ثوب الحمامة المسالمة التى يريد وحوش العرب أن يبتلعوها .

■ تاسعا : مع الحق والعدل

ان مصر فى « معركة السلام » التى خاضتها التزمت « بالقانون والحق » فى كل ما طلبته ..

●● فهى اقليميا : التزمت باستعادة اراضيها ورفضت اى تنازل عن عودة هذه الاراضى وعودة سيادتها كاملة عليها بعد استردادها ..

●● وهى قوميا لم تحول عينيها عن المشكلة الفلسطينية بكل ما فيها من عقد ومشاكل .

●● وهى عالميا لم تطلب شيئا لم يقره العالم ..

لقد اقر العالم القرار ٢٤٢ .. والقرار ٣٣٨ ، كما اقر عدم شرعية المستوطنات الاسرائيلية التى اقامتها اسرائيل فوق الاراضى التى احتلتها

■ عاشرا : الطريق مفتوح امامنا

الى اين وصلنا الان ؟

لقد جرت « معركة للسلام » كان العالم كله شهود رؤيتها يوما بيوم .. خطواتها فى النور .. ومواقفها واضحة وصريحة ..

●● امام انفسنا كنا صادقين .. ولا يستطيع اى مواطن فينا ان يقول ان مصر باعت او تنازلت

●● وامام امتنا كنا واضحين .. ولا يستطيع اى عربى ان يقول ان مصر خانت او فرطت .

●● وأمام شعب اسرائيل كنا جادين .. ولا يستطيع احد أن يقول لهذا الشعب بعد اليوم ان مصر تريد قتلكم ولا تريد السلم .

●● وأمام العالم كله كنا ملتزمين .. ولا يستطيع احد فى العالم أن يتهمنا باننا طلبنا بغير ما اقره العالم ، ولاننا سعينا الى الحرب ولم ننشد السلام ..

نخلص من ذلك الى :

① ان المبادرة المصرية لا يمكن ان تكون صفحة طويت وانتهت آثارها . وانما العكس هو الصحيح — انها صفحة بدأت ويجب استغلال ثمارها .

② ان على الذين اتهموا مصر بالخيانة ورقصوا على انغام سوفيتية أن يعيدوا مراجعة موقفهم .

③ ان الجبهة الداخلية المصرية مطالبة اليوم بتكاتف اصلب وبنتائج اكبر فى الجهد والعمل .

④ ان جهودنا لا يجب ان تتوقف لفضح موقف اسرائيل واستغلال معرفة العالم اليوم بما اصبح واضحا أمام عينيه وفكره .

⑤ لقد ذهب رئيس مصر الى آخر العالم بل الى الكنيست نفسه من أجل دعوة سلام صادقة . وعلى الذين كانوا شهود رؤية هذا الحدث التاريخى أو كان لهم دور محدود فيه أن يقوموا بدور أكبر □

صلاح منتصر